المشافهة والكتابة

تعد المشافهة والكتابة مرحلتين أساسيتين في تاريخ تشكّل المعرفة الإنسانية، إذ ارتبطت الثقافات الأولى بالتواصل الشفوي وحفظ المعارف عبر الذاكرة والإنشاد، قبل أن تبرز الحاجة إلى التدوين بوصفه وسيلة للحفظ والتوثيق والاستمرار. وقد نشأ عن هذا الانتقال تساؤل حول دوافع التدوين وشروطه ومعاييره، ولماذا كُتبت نصوص دون غيرها، مما جعل العلاقة بين المشافهة والكتابة علاقة جدلية قائمة على التداخل لا القطيعة. وقد اهتمت الدراسات الحديثة بهذه الثنائية، مبيّنة أن الشفاهية لم تختفِ بظهور الكتابة، بل ظلت حاضرة بأشكال مختلفة، بل وعادت بقوة مع الوسائط التقنية الحديثة. والجدير بالذكر أن فهم المشافهة والكتابة يقتضي دراستهما معًا بوصفهما نمطين متكاملين للتعبير ونقل المعرفة، لا يمكن استيعاب أحدهما دون الآخر، وهو ما يجعل هذه الثنائية مدخلًا أساسيا لدراسة تطور الثقافة والدرس الأدبي.

مفهوم المشافهة:

تعد المشافهة (التحدث/ الكلام) مهارة رئيسية من مهارات اللغة، وهي "صورة من صور اللغة يستعمل فيها الإنسان الكلمات للتعبير عن أفكاره، وهي الأصوات التي تخرج من الفرد يفهمها شخص يسمعه، والتحدث مزيج من الإدراك والتفكير والنشاط". فالتحدث على هذا النحو مقرون بأمرين أولهما: أصوات تصدر عن الفرد، وثانيهما معنى لهذه الأصوات مجتمعة يدركه سامع هذه الأصوات، ويؤدي إلى فهم المقصود وإدراك معناه، إذ ليس كل صوت كلاما؛ فالكلام هو اللفظ والإفادة، واللفظ هو الصوت المشتمل على بعض الحروف والإفادة هي مادلت على معنى من المعاني في ذهن المتكلم" كما تعرف المشافهة التحدث بأنها " قدرة مركبة من عدد من القدرات اللغوية تمكن الفرد من إنتاج لغة يهدف منها المتكلم إلى نقل رسائل والتعبير عن آراءه ومشاعره حول موقف معين".

خصائص لغة المشافهة:

- ✓ **أداة سمعية.**
- ✓ **الاعتماد على التنغيم الصوتي.**
- ✓ **التلقائية والحرية الأسلوبية.**
- ✓ **التساهل في القواعد النحوية.**
- ✓ **الاختصار والحذف والإدغام.**
- ✓ **حضور المتكلم والمتلقي.**
- ✓ **الخطية الزمانية.**
- ✓ **البساطة وقصر الجمل.**
- ✓ **معجم مألوف ومتكرر.**

1- مفهوم الكتابة:

الكتابة مصدر الفعل كتب، يكتب كتابة، وهي من معاني الشدّ والجمع والتنظيم. واصطلاحا هي انعكاس للمنتوج الشفوي في شكل مادي ملموس، أي إمساك باللغة ورؤيتها وقراءتها. وبعبارة أخرى، هي القدرة على التعبير عن الأفكار برسم الرموز التي ينبغي أن تتطابق مع قواعد الإملاء والتهجئة المعروفة، مما يؤدي إلى بناء كلمات واضحة قابلة للقراءة.

كما تعرّف الكتابة على أنها أداء لغوي رمزي يعطي دلالات متعددة، تراعى فيه القواعد النحوية المكتوبة، ويعبر عن فكر الإنسان ومشاعره، ويكون دليلا على وجهة نظره، وسببا في حكم الناس عليه. والكتابة صناعة تتم بالألفاظ التي يتخيّلها الكاتب في ذهنه، فيصور بها معاني قائمة في نفسه بواسطة قلم يخطّ الصورة الباطنة، فيحوّلها إلى محسوسة ظاهرة.

تنطلق الكتابة، من ثلاثة مرتكزات أساسية يقوم عليها بناؤها ووظيفتها. يتمثل المرتكز الأول في **الأساس المعنوي**، وهو ما يختزنه الفكر الإنساني من أفكار ومعانٍ وتصورات يسعى الكاتب إلى نقلها والتعبير عنها. أما المرتكز الثاني فهو **الأساس اللفظي**، ويتجسد في الوسائل اللغوية التي تُصاغ بها تلك الأفكار، من كلمات وجمل وتراكيب وأساليب قادرة على أداء المعنى المقصود. ويأتي **الأساس الاجتماعي** بوصفه المرتكز الثالث، حيث تتحدد الكتابة ضمن قوالب نصية متعارف عليها اجتماعيا، وهي أشكال تضبط طريقة عرض الأفكار وتنظيمها داخل النص.

خصائص الكتابة:

- ✓ **الكتابة اتصال غير مباشر.**
- ✓ **الكتابة عملية واعية ومخطط لها.**
- ✓ **الكتابة ترميز بصري للغة.**
- ✓ **الكتابة نشاط محكوم بقواعد دقيقة.**
- ✓ **الكتابة تفكير منظَم ومتأن.**
- ✓ **الكتابة لغة دائمة وقابلة للمراجعة.**
- ✓ **الكتابة تخاطب قارئا غائبا.**

مفهوم التعبير:

التعبير هو القدرة على إيصال الأفكار والمشاعر بوضوح وسلاسة، سواء بالكلام أو الكتابة أو وسائل أخرى مثل الرسم والإيحاء، بحيث يمكن للمتلقي فهمها بسهولة. ويعد التعبير وسيلة للتواصل والتفكير، تمكّن الإنسان من تنظيم أفكاره وتجسيد خبراته الحياتية بلغة مرتبة ومنطقية، مع توضيح موقفه من الموضوع، سواء كان إيجابيا أو سلبيا، وتحقيق التفاعل مع الآخرين حتى وإن كانوا بعيدين بالزمان أو المكان.

التعبير الشفهي: هو نقل العواطف والاعتقادات والاتجاهات، بالإضافة إلى الأفكار والأحداث، للآخرين بطريقة واضحة ومفهومة. ويعتمد على مجموعة من العناصر المترابطة، منها: التفكير، الذي يشمل العمليات العقلية المنظمة للأفكار والمعلومات؛ واللغة، باعتبارها وسيلة لتجسيد الأفكار والمشاعر بالكلمات؛ والصوت، الذي ينقل هذه الكلمات ويضفي عليها وضوحا

وإيقاعا؛ وأخيرا التعبير بلغة الجسد، والذي يشمل الإيماءات وتعابير الوجه وحركات الجسم، لتكمل المعنى وتدعم الرسالة المنطوقة.

التعبير الكتابي: هو وسيلة من وسائل الاتصال بين الإنسان والآخرين، تهدف إلى نقل الأفكار والمشاعر والاتجاهات والاحتياجات بدقة ووضوح عبر الكتابة، باستخدام القلم أو أي وسيلة كتابية أخرى. يصدر التعبير الكتابي من المرسل كتابة ليصل إلى المتلقي قراءة ويستخدم خصوصا في المواقف التي تفصل بينهما زمانا أو مكانا، مما يضمن التواصل الفعّال حتى في غياب اللقاء الشخصي. ويعد التعبير الكتابي الهدف النهائي من تعليم الكتابة، إذ يمكّن الكاتب من التعبير عن أفكاره ومشاعره بلغة سليمة ومنسقة، كما أنه نشاط تعلمي يمارس فيه الطالب عمليات عقلية ومهارية متنوعة، موظفا معارفه ومهاراته لإنتاج نص مكتوب متكامل ومنسجم يرتبط عادة بسياق محدد من مجالات الحياة.

وينقسم التعبير الكتابي إلى نوعين:

1. **التعبير الوظيفي (النفعي):** هدفه تلبية الاحتياجات اليومية وتنظيم شؤون الحياة. يعتمد على الواقعية والوضوح، بعيد عن الانفعال والعاطفة. من أمثلته: كتابة الرسائل، المذكرات، التقريرات، الإعلانات، التعليمات، والخطب.
2. **التعبير الإبداعي (الذاتي/الأدبي/الابتكاري):** هدفه عرض أفكار ومشاعر الكاتب بأسلوب فني مبتكر. يعتمد على العاطفة، الإبداع، واستخدام أساليب غير مألوفة.من أمثلته: كتابة القصص، الموضوعات الأدبية، الرسائل الإبداعية...

التعبير كفاءة:

مفهوم الكفاءة:

تعرف الكفاءة بأنها قدرة شاملة يظهرها الفرد في وضعية معينة، حيث يوظف ما لديه من معارف ومهارات وخبرات بطريقة مناسبة من أجل إنجاز مهمة أو حل مشكلة بنجاح. وترتبط الكفاءة بالسياق الذي تمارس فيه، لأنها تعتمد على فهم الشخص للوضعية وحسن اختياره لأسلوب التعامل معها. كما أنها قدرة مكتسبة وقابلة للتطور، لا تتحقق إلا بالممارسة والتطبيق وتنظيم الموارد للوصول إلى الهدف المطلوب.

يمثل التعبير الكتابي نموذجا عمليا للكفاءة، إذ يتطلب من الطالب توظيف ما لديه من معارف لغوية ومهارات فكرية وخبرات حياتية ضمن وضعية محددة لإنتاج نص مكتوب متكامل. فالكفاءة هنا تعني القدرة على تنظيم الأفكار، توظيف اللغة بشكل سليم، اختيار الأسلوب المناسب، معالجة المعلومات بدقة، واتباع منهجية واضحة لتحقيق الهدف من الكتابة. كما أن التعبير الكتابي يظهر قدرة المتعلم على التحكم في العناصر التقنية مثل وضوح اللغة، صحة الإملاء، تماسك العبارات، الاستخدام السليم لعلامات الترقيم، والتسلسل المنطقي للأفكار، بما يضمن توصيل الرسالة بفعالية إلى القارئ، حتى في غياب الاتصال المباشر. بهذا يصبح النص المكتوب مؤشرا ملموسا على تطبيق الكفاءة، حيث يتمكن الفرد من تحويل معرفته ومهاراته إلى إنتاج ملموس يعكس اتقانه للتقنيات الكتابية، ويتيح له التواصل بفعالية في سياقات حياتية وتعليمية متنوعة.